

## أسى الدرس .. رَوْح التسامح في شهادة عبدالحسين شعبان ”بشتاشان خلف الطواحين .. وثمة ذاكرة“

”أحبي بكل حريز الله التعرفه وياك .. وتكلي خشن!!“

### مظفر النّواب

الذي خصني به د. عبدالحسين شعبان على تلك النسخة الموقعة من قبله في بيروت يوم 13/6/2024 يقول الإهداء بعد كتابة أسمى: ”هذا جزء من تاريخنا بما له وما عليه، وعلينا أن نقرأه بروح نقدية، فلا قيمة للتجربة إلا بنقدها“، ونجده في مسهل 83 ص ينحت عبارة تحذيرية من عندياته تفضي بالقول: ”إذا لم نرتق إلى التسامح فليس أماننا سوى الهاوية“ مستحلياً بمقولة غاندي ” لا أحب كلمة التسامح ولكن لا أجد أفضل منها“، ومن هذا الكثير والأثير من الحكم والمواظ ونبل أقوال، كان قد أستضاء بها و ثمن د. شعبان أثر وقوة وعمق معانيها على طول وعرض هذا الكتاب المثير، والذي على الجميع النهل والإستفادة من منابعه وتراكم خبراته، ونبل تطلعاته وسمو أفاقه.

ح.ع. الحميد

أيلول/2024

Hasanhameed2000@yahoo.com

هو الحل الامثل والنهج الأعم والأفضل، في الوصول لغاية أسمى، لذا نرى في مبعث الحديث عن الشؤون والشجون التي راودت فكره وعقله وروحه -كما يؤكد بهذه التفصيلة في القسم الأول ”بشتاشان: قراءة ارتجاعية ورؤية استشرافية“ وتحت عنوان ثانوي انضوى بمسمى ”شؤون وشجون“ داعياً بحسن نيّة ورغبة في رأب الصدع، مطالباً باعتذار صريح وواضح: أولاً- ثم معالجة الآثار المترتبة عليه ثانياً- كما كررت أكثر من مرة- الكلام نصاً للباحث ص-31 إنطلاقاً من روح التسامح وبعيدا عن الثأر والإنّقام، وهو ما يمهد لطبي صفحة الماضي المأساوي“، كما وأصرّ في ذات الشأن على موضوع دراسة التجربة ومراجعة تفصيلها فأنها تقودنا إلى التوقف عند الأخطاء، وقصر النظر فيما يتعلق بالانجرار للمعارك، بمقترب من عبارة للمهاتما غاندي يقول فيها: ”إذا كنا سنقابل الإساءة بالإساءة، فمتى سننتهي الإساءة؟!“، أجدني ألح في نصّ الإهداء

تناقلته وكالات الأنباء والصحف جرّاء ما حصل فيها، بل وأصبحت -بحسب د. شعبان- لها رمزية خاصة حيال ارتباطها بمأساة إنسانية، فيما يضيف لي قول: ”أستطيع القول انها احتلت مكاناً خاصاً في ذاكرة جبل من الحركة اليسارية والكردية في العراق“ وفق ما يرد نصاً في سياق مقدمة تعريفية لجوهر الموضوع الذي تناوله الكتاب.

### الحقيقة بالوثيقة

هي الحقيقة كما اقتضت وترسخت وأصرها في ثنانيا عقل وحرارة قلب ونصاعة ضمير الكاتب كونه الأقرب لحيثيات ما دار و جرى، بل هو أحد الناجين-كما نوهت- من هذه المأساة، كما هو واضح ومؤكّد من خلال فحوى ومحتوى ذلك الكتاب -الوثيقة الدامغة- والمؤزج على ستة أقسام توزعت على صفحة 247 من القطع المتوسط برفقة ملاحق حوت ما استطاع الحصول عليه من أسماء شهداء بشتاشان الأولى والثانية، إلى جنب نداء و رجاء، وبعض الإلتباس لتدقيق الأسماء، فضلاً عن توثيق صور تدعم نيل مساعيه في الوصول إلى الحقيقة التي عنها شكسيير من ”انها تُخجل الشيطان!!“، وان قبله بقرون انبرى محي الدين بن عربي قائلاً: ”لا تدرك الحقيقة إلا عندما تُفنى“،

### سماً بالتسامح

قطعا .. لا ينفع إبداء الأسف بإزاء ما حصل من مجزرة بهذه القرية الواعدة، بمعنى مثل هذا الزعم يرى الباحث-الناجى من أتون هذا الحدث المرعب الذي اضطره ومجموعة كبيرة من رفاقه تحمّل أوزار أهوال الاحوال التي صادفهم في رحلة الخلاص و البحث عن مخرج ونجاة، فليس العاصفة الثلجية التي حدثت -صدفذاك“ من مصادفة“ - بسخطها وجنونها لوحدها من أنشلت كاهل المعاناة، بل ثمة ظروف وملابسات وحالات إعاقة ونوبات وأمراض مزمنة وأخرى فجائية لازمت عذابات رحلة الهروب الشاقة التي قاد بعض جوانبها الباحث والمفكر د. عبد الحسين شعبان، الذي لم يزل يرى ويرضى ومقنع بإيمان ساطع، قاطع، إيماناً مطلقاً بأن التسامح

الاصطفاقات التقليدية المعروفة، خصوصاً بانقضاء سنوات طويلة وهو خارج دائرة العمل الحزبي والسياسي اليومي الروتيني والمسلكي“ على حد قوله، إذ لم يعد ذلك من اهتماماته أو انشغالاته، على الرغم من اعتزازه بتاريخه-بحسب ما أفاد.

من هنا أجدني وبنوع من حاجة ضرورية ومُلحة لإعطاء وتأكيد طبيعة الدور والموقع الذي شغله د. عبدالحسين شعبان في مجمل ما حدث من ظروف تفاصيل قضية ”بشتاشان“ والتي هي احدى قرى كردستان العراق تقع عند سفح جبل قنديل البالغ من الارتفاع 7800 قدم -وسياتي عنها وعن طبيعتها حديث لاحق يصف جوانب من واقعها البيئي والتاريخي، بحسب الكتاب وما ورد في متنه- بعد أن سعى جاهداً من أجل وضع حدّ فاصل لذلك الإلتباس والغموض الذي لف القضية طوال العقود الاربعة الماضيات، من حيث هو أحد الناجين-كما ذكرنا- من حچيم مأساة حقيقية قادته للتفكير-ملياً- بلا جدواها، ولا جدوى أصل الفكرة التي ذهب من أجلها مع رفاقه الانتصار امتثالاً لاوامر من قيادة الحزب العلّيا، ويروي في القسم الثالث ”ناوزنك-بشتاشان“ ص51 من الكتاب وتحت عنوان فرعي ”الإعلام المركزي“، مضاء بعبارة له يقول فيها: ”القاص يختار ما يريد قصه، والشاهد يروي ما تخترنه الذاكرة“ ”أن كيف أعتذر- تمهيداً للوصول إلى جماعته في شتاشان- عن توليه رئاسة المحكمة العليا، رافضاً ذلك وهو الحقوقي المحنك والمختص بها المجال لعدة أسباب أوردها للرفيق المسؤول آنذاك ”سكرتير المكتب العسكري“، ليكن -بقناعته التي تتطابق وفهمه- بدل ذلك مسؤولاً لمنظمة الاعلام المركزي، والتي تضم رفاقه العاملين في الإذاعة والجريدة وفصيل الإعلام.

### القرية الواعدة

”بشتاشان“ يقابلها باللغة العربية ”خلف الطواحين“ كان قد حباها الله -بحسب وصف الكاتب لها ص-11 بكل ما هو جميل ومناظر خلابة، ونهير ذو مياه عذبة الى آخر مجريات الوصف الدقيق والعميق لهذه القرية الواعدة التي لم يكن أحد يتصور أن تلك ”المنطقة النائية المعزولة، المنقطعة عن مركز الحضارة و المدنية، ستستقبل المئات من المثقفين، كُتاباً وصحافيين وشعراء ومسرحيين وفنانين وأطباء ومعلمين وحقوقيين، وأساتذة جامعة وطلابا وفلاحين وعددا كبيرا من السياسيين الذين أجبرتهم الظروف على العيش في تلك الأرض المنسية من العالم.“ الكتاب ص 13.

تجدد الإشارة إلى أن هذه القرية بقسميها بشتاشان العليا وبشتاشان السفلى كانت قد تعرّضت إلى عمليات تجريف منازل و أكواخ سكانها البالغ عددهم 20 عائلة من قبل النظام البائد في العام/1975 وظلت مهجورة على الرغم من انتقال الأنصار الشيوعيين إليها في العام/1982، حيث أقام فيها هؤلاء الوافدون، فأعطوا لها ملامح حياة ونكهة جديدة، ومن خلال تواجدهم بعثوا فيها نوعاً من الحركة الدائبة، حتى أضحت أشبه بورشة عمل دائمة-دائبة حيث تم فيها نصب إذاعة، ونقل أجهزة طباعة، وإنشاء وحدة طباعة، وعلى إثر ذلك انتظمت فيها ندوات وأماس واحتفالات وافتتاح معارض فنية وعرض أعمال مسرحية، وبما ممكن ومتاح، فضلاً عن تنظيم حراسات، مثلما كان يتجول فيها مسلحون بينهم الكثير من العرب، وتشاء الظروف و تحتمّ الاقدار بأن يدخل اسم هذه القرية القاموس السياسي، وأن تكون معروفة على الصعيد المحلي والعربي والعالمي وعلى نطاق واسع، وتنال هذه الشهرة والصبية على إثر ما



حسن عبد الحميد

توطئة مُلحة:

قد أبدو من رهط القلائل الذين استعانوا بالشعر العامي ”الشعبي“ نسقا واستهلالاً، إضاءة ومدخلاً لخصائص مثل هذا الشأن المحدث لحادثة ”بشتاشان“ التي نحن بصددتها، وما شفاعتي بالإستهلال النّوابي والاستعانة بمقطع من شعر مظفر ذلك الذي توافد يومي نحو من يتغافل الحقيقة بحجة عدم الفهم واللإبالية رغم نضوح ووضوح الكلام الناعم الملس كالحريز، إلا توطئة وتكثيفا خلاصة ما نوى وهوى، أراد وأفاد الباحث والمفكر د. عبدالحسين شعبان في مُبريات كتابه ”بشتاشان خلف الطواحين.. وثمة ذاكرة/ شهادة وليست رواية“ الصادرة عن دار الرافدين للنشر والتوزيع ببغداد/ شارع المتنبى آذار هذا العام.

### الماضي القريب

أتطلع وأتظنّ بحيف وحيرة وكثير من اسى وألم، أن كيف تهامت وتصاطرت معلومات وتوثقيات وأسانيد هذا المفكر الموسوعي والمثقف العضوي، الباحث الفصل في قضايا الدفاع عن حقوق الإنسان والقانون الدولي، وأحد الناجين من هول هذه المأساة الإنسانية وكيف برع في أن ينتزع ويزيح القشور عن مجريات وتداعيات وأوليات الكثير والمثير ممّا علق بحيثيات تلك الفاجعة-أو المجزرة كما يُسميها هو- والتي راح ضحيتها 70 شيوخاً عراقياً، كانوا قد انضوا وتطوعوا تحت مظلة ما عُرفت ”بحركة الأنصار“، وكيف ”ماعت“ وغابت الكثير من مداخل ومخرجات وتداعيات تلك الحادثة التي جرت قبل أربعة عقود خلت من يومنا هذا -تحديداً يومي 1 و3 أيار من العام/1983، شاء وأن تصادفت مع يوم العمال العالمي، فيما بقيت وعلقت في ذواكر العديد من الناجين الأحياء، ومن يداينهم منزلة القرب وصلته الرحم من عوائل الضحايا، حتى وكأنها باتت تشقى وتئن، تنتضح وتئنز كجرّح لم يندمل بعد، وظل مفتوحاً يواجه عصف ريح صرصر، في ظل الإلتباس والغموض لكل ما اكتنف القضية وأحاطها بنوع من الصمت الأقرب للتواطؤ وبشيء من عدم الإفصاح- أحياناً- عما حدث، وفق ما يُشير ويُقدّم لذلك د. شعبان في مستهل كتابه، مؤكداً من موقعه الشخصي دوام ودأب مناقشاته مع العديد من الناجين، وبعضاً ممّا أطلع عليه من مذكرات ومقالات، فضلاً عما قيل ما آراء ووجهات نظر مهما جاء من اختلاف التوجّهات، إلى جنب ما مكّنه من تقديم قراءة إرتجاعية للحديث حتى من خارج دائرة الصراع الداخلي الذي كان فيه الباحث -في وقت من الاوقات-، ولكن ما يقوم به، اليوم، عبر ما أشار وصرّح في القسم الاول من الكتاب تحت عنوان فرعي هو ”شؤون وشجون“ ص31

### التاريخ الشخصي

لعل تلك التوجهات لا تندرج ضمن



تاريخ

عبد الحسين شعبان

عبد الحسين شعبان

بشتاشان

خلف الطواحين... وثمة ذاكرة

شهادة وليست رواية

الشهادة أو الرواية التي يُحكى عبد الحسين شعبان حروفها يخبئ من حريه وهو أحد الناجين من مجزرة بشتاشان، لا تستهدف تلك الجراح أو إيذارة الأعداء والضالّين والأثر، بقدر ما تسعى إلى كشف الحقيقة وتحذير المسؤولين ومعرفة الأسباب والدوافع لجبر الضرر وتبويض الضحايا، وإعادة بناء العلاقات الوطنية على أسس سليمة وأخلاقية وإنسانية، وهو ما عمد إليه في إعادة قراءة ما حصل كتفكير وكاتب وناقد.

وعلى الرغم من مرور أربعة عقود من الزمن على تلك الواقعة الأثمة، إلا أن ما عُرف عنها، لم يكن سوى ”إشارات غامضة“ و ”شذرات ونصّ“ من أحداث متناقضة ومسموعات مبهمة ومرويات متبورة بقصد أو دون قصد، والأمر لا يتعلق بالتباين والاختلاف في الموقف بين المرتكب والضحية، بل انتقل ليشمل طائفة من الشخصيات القريبة والبعيدة من مسرح الحدث وشهوده، حيث ظلّت الصورة غامضة وضبابية.

رواية شعبان الدقيقة والتفصيلية تتطرق من تحليل ما حصل بقلب حار وعقل بارده وهي لا تهمل الجزئيات في تناول الكليات، ولذلك فإنها تدوّن وقائع المجزرة، التي لم تكن قضاءً وقدرًا، أو نجت جراً زلزال أو كارثة طبيعية كي تحظى آثار الضحايا وقبورهم، بل كانت بفعل فاعل دير بلبل حالك الغلام.

إنها شهادة للتاريخ، حتى وإن كان هذا الأخير ما كآر.

إخراج وتصميم: حسن حميد